# أسباب اختلاف الفقهاء

بقلم

**صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي**

نائب رئيس لجنة الفتوى ، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

والرئيس العام لأنصار السنة ( سابقاً )

**الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :**

**فمصادر التشريع الإسلامى : هى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وما تفرع عليهما من الأدلة كالإجماع والقياس ، وما تضمنه كل منهما من مقاصد الشريعة العامة وقواعدها الكلية .**

إن مصادر الشريعة وما تضمنته من القواعد العامة ، أو تفرع عنها من الأدلة الكلية لا تنهض بالباحث لمجرد اطلاعه عليها ، أو حفظه إياها ، بل لا بد له إلى جانب ذلك من ملكة علمية يقتدر بها على إثبات صحتها فى نفسها ، وسلامة الاحتجاج بها ، وعلمه بطرق إستثمارها ، والاستدلال بها على المطالب التى وقع النزاع فيها ، ودار الأخذ والرد حولها ، والدراية بتطبيقها على الوقائع الجزئية ، والدربة على ذلك ، مع معرفة أعراف الناس ، وما يحيط بهم من ظروف مختلفة ، وأحوال متباينة ، لما لذلك من أثر بين فى صحة التطبيق ودقته ، والسلامة من إدراج الواقعة فى غير قاعدتها ، أو إلحاقها بغير نظيرها .

ولا يسمو الإنسان بنفسه عن حضيض الأمية حتى يكون لديه من الاستعداد العلمى ، والقوة الفكرية ما يمكنه من استثمار الأحكام من أدلتها التفصيلية على ضوء قواعد الشريعة الكلية ومقاصدها العامة .

لقد بذل كثير من سلف هذه الأمة ، وقليل من المتأخرين وسعهم فى استثمار مصادر الشريعة ،

* من مقدمة كتاب « اختلاف الفقهاء » للدكتور التركى بتصرف

واجتهدوا طاقتهم فى استنباط الأحكام : أصولها وفروعها منها ، وإن اختلفت آراؤهم تبعاً لاختلاف مناهجهم فى البحث ، ولاختلاف الأصول التى وضعها كل منهم لنفسه ، ليبنى عليها فى فهمه للأحكام ، وبهذا تركوا لنا ثروة علمية فى التوحيد والفقه والأخلاق لم يحلم بها عهد من العهود فى أمة أخرى من الأمم ، وفتحوا لنا باب البحث ، ورسموا طريق الاجتهاد ، ويسروا مسالكه بما آتاهم الله من سعة الفكر ، وبعد النظر ، وسلامة الفطرة ، وحسن القصد ، وقوة البيان .

لم يكن اختلاف سلفنا الصالح فيما استنبطوه من الأحكام وليد الهوى والشهوة ، ولا عن زيغ وانحراف ، ولا كان رمية من غير رام ، وإنما كان عن أسباب يعذر لمثلها المخطىء ويؤجر أجراً واحداً ، ويحمد المصيب ويؤجر أجرين ، فضلاً من الله ورحمة . والله عليم حكيم .

وأسباب الاختلاف فى الأحكام كثيرة :

منها : الإجمال فى لفظ الدليل ، ومنها : التعارض بين الدليلين مع الاختلاف فى الجمع بينهما ، أو ترجيح أحدهما على الآخر ، منها : الاختلاف فى نسخ الدليل وإحكامه ، ومنها : الاختلاف فى صحة الدليل ، فيصلح للاستدلال به عند جماعة ، ولا تقوم به الحجة عند آخرين ، ومنها : الاختلاف في القاعدة الأصولية ، ومنها : الاختلاف فى مناط الحكم ، ومنها : الاختلاف فى تحقيق مناط الحكم بعد الاتفاق على المناط نفسه . إلى غير هذا من الأسباب التى كانت مثار خلاف بين العلماء ، ولا ضير عليهم فى ذلك ما دام رائدهم الحق ، ومقصدهم الوصول إلى الصواب ، ومنهاجهم البحث البرىء من التعنت والعناد ، وتجنب المراء والجدل بالباطل ، ولهذا أنصف السلف الصالح بعضهم بعضاً ، واستسلموا للحق عند ظهوره ، ولم يكن بينهم الهراء ولا التنابز بالألقاب كما حدث بين من جاء بعدهم من الباحثين .

وقد ألف كثير من العلماء قديماً وحديثاً كتباً فى بيان منشأ الخلاف وأسبابه ، من ذلك : كتاب التمهيد فى تخريج الفروع على الأصول للشيخ عبد الرحيم الأسنوى ، وكتاب تخريج الفروع على الأصول للشيخ محمود الزنجانى ، وكتاب الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف للشيخ ولى الله الدهلوى ، وكتاب أسباب اختلاف الفقهاء للشيخ على الخفيف ، ثم الكتب المؤلفة فى علم الخلاف مملوءة بتحرير محل النزاع ببيان ما اتفق عليه العلماء وما اختلفوا فيه ، مع بيان منشأ الخلاف فى محل النزاع .

والحكم على الشىء بالخطأ أو الصواب مما تختلف فيه الأنظار ، وتتفاوت فيه مدارك العلماء ، وليس هناك معصوم إلا من عصمه الله ، فالله المستعان ، ومنه المدد والإلهام ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**عبد الرزاق عفيفى**

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

# مبدأ ميثاق

لفضيلة الشيخ :
عبد الرزاق عفيفي

الإسلام عقيدة وقول وعمل ، فالعقيدة : إيمان راسخ بأن الله رب كل شيء ومليكه : خلقًا ، وتقديرًا ، وملكًا ، وتدبيرًا ، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده ، لا يشركه فيها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فله سبحانه الأسماء الحسني ، والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب ، والسنة الصحيحة .

يرى جماعة أنصار السنة المحمدية أن تمر هذه النصوص كما جاءت اقتداءً منهم فيها بسلف هذه الأمة ، وخير قرونها فيفسرونها بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي بها نزل القرآن ، وكانت لسان النبي عليه الصلاة والسلام مع تفويض العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ]،ولا يلزم من ذلك تشبيه الله بعباده ، كما لم يلزم من الإيمان بذات له تعالى على الحقيقة ، مع الكف عن الخوض في كنهها .

"جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله وتهتدي بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة وقولاً وعملاً."

وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه ، وأرحم بهم منهم بأنفسهم ، وكلامه أبلغ كلام وأبينه ، وله سبحانه الحكمة البالغة ، فيستحيل أن تتوارد النصوص ، وتتتابع الآيات والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة ، والمراد غير ما دلت عليه حقيقة ، ويقصد الله منها ، أو يقصد رسوله عليه الصلاة والسلام إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلًا على ما أراد من المعاني المجازية ، اعتمادًا على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر ، فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى ، وسعة رحمته ، وفصاحة كلامه ، وقوة بيانه ، وبالغ حكمته ، ولأن يتركهم الله دون أن يعرفهم بنفسه ، ويعرفهم به رسوله عليه الصلاة والسلام بوحيه خير لهم وأيسر سبيلًا ، لعدم وجود المعارض للشبه الباطلة التي زعموها أدلة وبراهين ، وما هي إلا الخيالات ووساوس الشياطين ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

فمن جحد شيئًا من هذه النصوص ، أو تأولها على معان مجازية من غير دليل يرشد إلى ما تأولها عليه فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته ، وحق عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [ فصلت : ٤٠ ] ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [ الأعراف : ١٨٠ ] .

وقد زادت السنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء والصفات توكيدًا وبيانًا فقضت على قول كل متأول ، يحرف كلام الله عن مواضعه ، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها ، وتلاعبها بشريعة نبيها .

العقيدة الصحيحة – أيضًا –: إخلاص العبادة لله ، وإفراده تعالى بجميع أنواعها : ما ظهر منها : كالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وما بطن منها : كالتوكل على الله ، والإنابة إليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عقابه ونقمته ، والاستغاثة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الأقوال والأعمال ، والأخلاق التي تدخل في مسمى الإسلام ، كما تدخل العقيدة ، وإن تفاوتت منازلها في الدين ، وكان لكل منها درجة تخصها حسب ما يتوقف عليها من العباد ، وما يتبعها من الآثار .

العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة ، ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك وألوان البدع والخرافات لتبعث من دان لله بها إلى العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب السامية .

إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة ، ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك ، وألوان البدع والخرافات لتبعث من دان لله بها إلى العمل الصالح ، والأخلاق الفاضلة ، والآداب السامية ، وتجعل منه رجلًا مثاليًا في الحياة : إن حكم عدل ، وإن قال فقوله سديد ، وإن عمل كان على جادة الكتاب والسنة ، وإن عاشر

الناس وجدوا منه خير سيرة . فمظهره يشرح للناس الإسلام ، ويفسره تفسيرًا عمليًّا بقوله ، وعمله وخلقه ، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة ، قد شابها كثير من البدع والخرافات ، أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه وإن خالف وحي السماء أو طغت عليه الشبه ، واستولت عليه الشكوك والأوهام ضرب في كل واد ، وأخذ في بنيات الطريق ، وضل عن سواء السبيل .

من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السنة المحمدية يكثرون من الكلام في التوحيد في دروسهم ، وخطبهم ، وكتابتهم ، ولهم في ذلك خير أسوة ، أسوتهم في ذلك أئمة الهدى ، وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصره أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله ، وتهتدي بهدي رسوله ﷺ ، وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة ، وقولًا ، وعملًا ، لا تؤثر على ذلك شيئًا ، ولا ترضى به بديلًا من آراء الرجال الضالة ، وأهوائهم الزائفة ، عملًا بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الحجرات : ١ ] وما في معناه من الآيات والأحاديث ، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وعهدت إلي برئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها بمصر ، ورئيسها السابق فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن الدعوة إلى الدين ، ونشر التوحيد خير الجزاء ، فكان لزامًا عليَّ أن أقوم بهذا الواجب ، وأسير بالجماعة على هدي كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ ابتغاء مرضاة الله في نشر دينه ، وتحقيقًا لمبدأ التعاون في نصرة الحق .

وأرجو الله أن يهيئ لنا جميعًا من أمرنا رشدًا ، وأن يلهمنا الرشد ، والصواب في القول والعمل ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

# من كتابات الشيخ
# عبد الرزاق عفيفى رحمه الله

# تقديم نصوص الكتاب والسنة على العقل

**الحمد** لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد فإن نبينا محمداً ﷺ قد أيده الله بروح من عنده ، أيده فى التشريع بالوحى وعصمه فى الأخبار عن الكذب ، فلا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى وما كان منه عليه الصلاة والسلام عن اجتهاد أقره الله تعالى عليه إن أصاب فيه ، وكشف له عن الحق وأبان له الصواب إن أخطأ فكان بفضل الله وتوفيقه على بينة وبصيرة من أمره على كل حال ، لم يكِله الله لنفسه ، ولم يدعه لحصن تفكيره بل هداه سبحانه فى كل شئونه إلى سواء السبيل .

**لقد** أنزل الله عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وأوحى إليه من الأحاديث ما فيه بيان لما أجمل فى القرآن ، وتفصيل لقواعده وشرح للعقائد والشرائع فضلاً من الله ورحمة والله عليم حكيم ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِم وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون ﴾ فوجب تصديق ماجاء فى كتاب الله وماصح من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وتحكيمها فى كل شأن من الشئون والرضا والتسليم لحكمها دون حرج أو ضيق فى الصدور تحقيقا للإيمان وتطهيراً للقلوب من درن الشرك والنفاق قال الله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّـا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُـوا تَسْلِيمَا ﴾ .

**ولايغترن** إنسان بما أتاه

الله من قوة فى العقل وسعة فى التفكير ، وبسطة فى العلم ، فيجعل عقله أصلا ، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعا ، فما وافق منهما عقله قبله واتخذه دينا وماخالفه منها لوى به لسانه وحرفه عن موضعه ، وأوله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره ، وإلا رده ماوجد فى ظنه إلى ذلك سبيلا ، ثقة بعقله ، واطمئنانا إلى القواعد التى أصَّلها بتفكيره واتهاما لرسول الله ﷺ ، أو تحديداً لمهمة رسالته وتضييق الدائرة مايجب اتباعه فيه واتهاما لثقاة الأمة وعدولها ، وأئمة العلم وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة ووصلت إلينا عن طريقهم قولا وعملا ، فإن فى ذلك قلباً للحقائق ، وإهدارا للإنصاف مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة مما يؤدى إلى القضاء على أصولها . إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكرى متفاوت وعقولهم متباينة وقد تتسلط عليهم الأهواء ويشوب تفكيرهم الأغراض فلا يكادون يتفقون على شىء ، اللهم إلا ماكان من الحسِّيات أو الضروريات .

**فأى** عقل من العقول يجعل أصلا يحكم فى نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهما وتأويلا ، أعقل الخوارج فى الخروج على الولاة ، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء أم عقل الجهمية فى تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها وفى القول بالجبر ،

**أم** عقل المعتزلة ومن وافقهم فى تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة أم عقل الغلاة فى إثبات الأسماء والصفات والغلاة فى سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال ، أم عقل من قالوا بوحدة الوجود ... إلخ .

**ولقد** أحسن العلامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله إذ يقول « ثم المخالفين للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتناولين لهذا الباب فى أمر صريح ، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقيين فى الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل .

**ويكفيك** دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب مايدعى الآخر أن العقل أحاله . فياليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنة ، فرضى الله عن الإمام

مالك بن أنس حيث قال : « أوكلما جاء رجل أجدل من رجل تركنا ماجاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء » انتهى .

**هذا** وإن فريقا ممن قدسوا عقولهم وخدعتهم أنفسهم واتهموا سنة نبيهم قد أنكروا رفع الله نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء وحيا بدنا وروحا ونزوله آخر الزمان حكما عدلا لالشيء سوى اتباع ماتشابه من الآيات دون ردها إلى المحكم منها اتباعا لما ظنوه دليلا عقلياً وماهو إلا وهم وخيال وردوا ماثبت من سنة النبى ﷺ نزولا على ما أصلوه من عند أنفسهم من أن العقائد لايستدل عليها بأحاديث الآحاد واتهاماً لبعض الصحابة ومن إليهم فيما نقلوا من الأحاديث فى ذلك جرأة منهم على الثقات الأمناء من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان وتطاولوا على علماء الحديث وتناولوا رجال الجرح والتعديل بألسنة حداد جهلا منهم بما قدموه من خدمة للدين وحفظ الأصل الثانى من أصول الإسلام وهو السنة النبوية وعجزا منهم عن أن يهضموا مادوَّن أولئك الأئمة الأخيار من كتب فى قواعد علوم الحديث ودواوين فى تاريخ رواة الحديث وبيان درجاتهم ومراتبهم فى الرواية وطبقاتهم ومواليدهم ووفياتهم ولقاء بعضهم بعضا أو سماعه تمييزاً لمن تقبل روايته ممن ترد روايته ، ومايقبل من الأحاديث وما يرد ، وذباً عن السنة النبوية وحفاظا عليها .

**ومع** هذا اغتر بعض الناشئة من طلبة العلم بهؤلاء المتهمين للسنة الصحيحة برواتها ، المعتدين على سلف الأمة وأئمتها . وتردد آخرون وتساءلوا بينهم فكتبوا إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء يستفسرون عما أشكل عليهم من ذلك فأجابتهم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بما يناسب الحال ويقضى حاجة السائلين وفيا يلى ذكر مايرد منهم إلى اللجنة من الأسئلة المتعلقة برفع عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حيا إلى السماء ونزوله آخر الزمان حكما عدلا وإيمان جميع أهل الكتاب بدوره وما أجابت به اللجنة عن هذه الأسئلة .

البخاري : عن أنس – رضي الله عنه – قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار – رضي الله عنهم – يحفرون في غداة باردة . فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم . فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيْشُ الآخرة . فاغفر للأنصار والمهاجرة » . فقالوا مجيبين له : « نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا » .

# الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله

## الحلقة الأولى

***يختلف حال الداعية في استدلاله باختلاف حال من يسأله عن قضية أو يحاجه فيها ، فقد يكون مقرًا بأصول تلك القضية ، معترفًا بما يوجب عليه التزامها والعمل بها ، فلا يشغل المستدل نفسه بإثبات تلك الأصول وإقامة الحجة عليها ، فقد أغناه اعتراف سائله أو خصمه بها عن الاحتجاج عليها .***

بل يوجه عنايته إلى بيان اقتضاء هذه الأصول إثبات دعواه فيما خالفه فيه خصمه ليحمله على موافقته فيها واعتقاده إياها والعمل بها ، من ذلك استدلال الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، بما أقر به المشركون من توحيد الربوبية على إثبات ما أنكروه من توحيد الإلهية ، وقد أرشد الله جل شأنه إلى هذا في كثير من آيات القرآن ، وهي أدلة عقلية نقلية في وقت واحد ، ومن ذلك أيضًا احتجاج المسلم على المسلم بقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [ الحجر : ٩ ] ، على حفظ القرآن وصيانة نصوصه وألفاظه من التحريف والتبديل وبقائه بلفظه كما نزل ، ليكون حجة على عباده إلى أن تقوم الساعة ، وهذا دليل نقلي تقوم به الحجة على من آمن ببقاء ما بين دفتي المصحف إلى وقت الخصومة ، لكنه خالف في استمرار حفظه في المستقبل .

وقد يكون السائل شاكًّا في أصول ما سأل عنه ، طالبًا الدليل على تلك الأصول أو منكرًا لها حتى إذا ما ثبتت بالحجة ثبت تبعًا لها ما سأل عنه أو أنكره ، فيضطر المستدل إلى إثبات هذه الأصول بالأدلة العقلية ، كالذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه ، فإن إبراهيم عليه السلام استدل على إثبات الربوبية لله بأنه هو الذي يحيي ويميت ، فسلك الكافر في جداله طريق التمويه وادعى لنفسه أنه يحيي ويميت ، وقصد معنى سوى الذي قصد إليه إبراهيم عليه السلام في استدلاله ، فأتاه إبراهيم عليه السلام بآية أخرى من آيات الربوبية على سبيل المثال لا يجد الكافر سبيلاً إلى التمويه والمغالطة فيها ، فقال : ﴿ إن اللّه يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر واللّه لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [ البقرة : ٢٥٨ ] ، وكفرعون فإنه قال لقومه : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [ النازعات : ٢٤ ] ، وقال :

بقلم فضيلة الشيخ

عبد الرزاق عفيفي ( رحمه الله )

﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [ القصص : ٣٨ ] ، وقال : ﴿ يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا ﴾ [ غافر : ٣٦، ٣٧ ] ، وذكر الله في آيات من سورة " الشعراء " محاجة فرعون لموسى عليه السلام في ربه وإنكاره عليه أن يتخذ ربًا سواه وإقامة موسى الحجة عليه . فقال تعالى : ﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين * قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم وربُّ آبائكم الأولين * قال إنَّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون * قال لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ [ الشعراء : ٢٣ - ٢٩ ] ، فهذا استدلال عقلي استدل فيه بالأثر على المؤثر . وبالآيات الكونية على بارئها ، ولا شك أن ذلك مما يدل عقلاً على اختصاصه تعالى بالربوبية . ويلزم من ذلك اختصاصه تعالى بالألوهية . وكذلك منكرو النبوة يستدل عليهم بالمعجزات وخوارق العادات ؛ لإثبات النبوة كما هي سنة الله في رسله عليهم الصلاة والسلام ، فإنه يؤيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهم في دعوى الرسالة وتقوم بها الحجة على أممهم .

وليس بمُجدي في مثل ذلك الاستدل بالنقول الخبرية المحضة ، كقوله تعالى : ﴿ قل هو اللهُ أحد ﴾ [ الإخلاص : ١ ] في إثبات التوحيد ، وقوله : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ [ سبأ : ٢٨ ] ، في إثبات الرسالة ، ولا يكفي في محاجة من ينكر بقاء القرآن محفوظًا منذ نزل إلى زمن المحاجة الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [ الحجر : ٩ ] ، بل الإثبات بذلك مستحيل لما يترتب عليه من الدور السبقي أو التسلسل الممنوع ، والذي يتعين الاستدلال به في مثل ذلك الدليل العقلي المحض أو النقلي المتضمن للدليل العقلي ، كالآيات التي استدل بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام على من حاجه في ربه ، والآيات التي

استدل بها موسى على فرعون ، وكثير من الآيات القرآنية التي استدل بها على البعث والنشور يوم القيامة ، بل يستدل على إثبات بقاء القرآن محفوظًا إلى يومنا بنقله نقلاً متواترًا وبكونه معجزة خالدة إلى يوم القيامة ، وإليك بيان ذلك :

١ - أما بيان كونه ضبط من حين نزوله ونقل نقلاً متواترًا يفيد القطع واليقين : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له كُتّاب يكتبون له الوحي وغيره ، وكان إذا نزلت عليه سورة أو آيات أو آية أو بعض آية أملى ذلك على كاتب منهم فكتبه على ما تيسر له من العسب والحجارة الرقيقة والعظام ونحوها ، واستمر ذلك حتى أكمل الله دينه وأتم على الأمة الإسلامية نعمته ، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ما نزل عليه منه قراءة تثبتٍ وتفهم ودراسة في الصلاة وغيرها ، وكان ينزل عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام فيدارسه القرآن في شهر رمضان ، واستمر ذلك حتى توفاه الله ، هذا مع عصمته في البلاغ والتشريع .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون ما نزل من القرآن ويتدارسون فيما بينهم فلا يكادون ينتهون مما تعهدوه بالتلاوة والدراسة من السور أو الآيات إلا وقد حفظوه وفهموه وعملوا به ، فجمعوا بذلك بين الحفظ والعلم والعمل ، يعرف ذلك من قرأ في دواوين السنة والسيرة وعلم ما فيهما من الأحاديث والآثار ، وكان عنده إلمام بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه رضي الله عنهم ، وعرف مدى عنايتهم بحفظ الدين عامة وحفظ القرآن خاصة .

وقد اشتهر بحفظ القرآن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو زيد الأنصاري رضي الله عنهم .

ولما كان يوم اليمامة وكثر القتل فيمن كان في جيش المسلمين من القراء لزيادة حرصهم على القتال ، وحث بعضهم بعضًا عليه بكلمة ( يا أهل القرآن ) إثارة لشعورهم وغيرتهم على الإسلام حتى يتسابقوا إلى القتال نصرة لدين الله - لما كان ذلك - اتفق الصحابة رضي الله عنهم على جمع القرآن مما كتب فيه ومن صدور الحفاظ الثقات ، فتم ذلك على أكمل وجه وأحكمه ، وكانت الصحف التي جمع فيها عند أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي ، ثم عند عمر أيام خلافته

إلى توفي رضي الله عنهما ، ثم كانت عند بنته حفصة ، وقد علم أن القرآن نزل على سبعة أحرف ( أي لغات ) ، وكان كل جماعة من الصحابة يقرءون بحرف منها ، فلما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة أشير عليه أن يجمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة ، فأمر رضي الله عنه بذلك ، وتمت كتابة القرآن على حرف واحد بأيدي القراء الثقات ، وقوبل بالصحف التي كانت عند حفصة رضي الله عنها وثبت اتفاقهما ، ونسخ منه مصاحف أرسلها إلى عواصم الإمارات الإسلامية بعد أن قرأه على الصحابة بين يديه فأقروها رضي الله عنهم ، واحتفظ بالأصل عنده بالمدينة المنورة ، وصار المعتبر عند الصحابة رضي الله عنهم هذه المصاحف . وثبت ثبوتا يوجب اليقين ويفيد القطع . بأن ما جمع هو ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمر العمل عليها إلى يومنا هذا ، تنقلها كل طبقة من الأمة عمن قبلها كتابة وحفظا . وقد بلغ عدد من كتبه وحفظه . في كل طبقة حدًا فوق التواتر الذي لا يبقى معه موضع لريبة . ولا يدع مجالا لشك في أن ما وصلنا هو ما جمعه أبو بكر الصديق أولا . ثم عثمان ثانيا رضي الله عنهما . وهذا في إفادة اليقين كالأخبار الكثيرة عن المدن المشهورة في إفادة اليقين بوجودها . ولو لم يكن إجماع الصحابة رضي الله عنهم على أن ما جمع في المصحف في

**خلافة أبي بكر وفي المصحف في خلافة عثمان رضي الله عنهما هو القرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفيدًا لليقين لما كان هناك ما يفيد اليقين سوى المحسات ، ولو لم تكن الأخبار عن حفظ القرآن - في صدور**

قراء المسلمين وعن كتابتهم إياه مـ ـام والدقة في الضبط فهمًا في جميع الطبقات - مفيدة لليقين لما كان هناك أخبار تفيد اليقين ، ولو أن إنسانا في عصرنا الحاضر الذي خفت فيه عناية المسلمين بالدين أراد أن يجمع القرآن من أفواه القراء وحفاظ القرآن دون الرجوع إلى ما كتب مخطوطًا أو مطبوعًا أو مسجلا في أشرطة لوسعه ذلك بيسر وسهولة ، فكيف بذلك في العصور الإسلامية الزاهرة التي بلغت فيها العناية بالدين أصوله وفروعه شأوًا بعيدًا وغاية قصوى في النهوض به في شتى جوانبه وجميع نواحيه ، إن الواقع لأعظم بينة وأقوى شهيد على بقاء القرآن محفوظة نصوصه من يوم نزل إلى وقتنا .

٢- وأما إثبات بقائه محفوظًا بكونه معجزة خالدة إلى يوم القيامة ؛ فإن ما كان به معجزة ودليلا على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن نزوله عليه لا يزال قائمًا ، فهو لا يزال يتحدى العالم أن يأتوا بمثله في فصاحته وبلاغته وقوة أسلوبه وفي أحكام تشريعه وصلاحيته للنهوض بالأمم مع تفاوت طبقاتها واختلاف أحوالها في كل زمان ومكان ، وفي قصصه الصادق عن الأمم السابقة وأخباره عن سائر الغيبيات السابقة واللاحقة ، ولم يأت أحد بمثله حتى وقتنا الحاضر مع بعد العهد بنزوله ، ومضي أكثر من ثلاثة عشر قرنا على ذلك ، ومع كثرة خصوم الإسلام والمسلمين وشدة مكرهم وكيدهم لهم ، ودأبهم في العمل للقضاء على هذا الدين ومع تقدم الناس في العلوم الكونية والثقافات المتنوعة ، ويأبى الله إلا أن يحفظ دينه ويعلي كلمته ، ويكتب للقرآن والسنة الصحيحة البقاء ؛ لتقوم بذلك الحجة على الناس .

# الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله

*عُني إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام ، بالدعوة إلى الإسلام ، ووجه جل همَّة وأعظم عنايته إلى إيضاح التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه ، فبدأ به وكرر الدعوة ، مع اختلاف لهجته في ذلك لينًا وشدةً ، وذكر أنواعًا من الأدلة على التوحيد ، وسلك طرقًا شتى في الاستدلال بها عليه ، إتمامًا لإقامة الحجة ، وزيادة في الإعذار إلى الأمة ، وأملاً في أن يجد كلُّ نوع منها أو وجهٌ من وجوه الاستدلال بها منفذًا إلى قلوب جماعة ، فإن الناس مختلفون في مداركهم ومتفاوتون في طبائعهم وأفهامهم قوة وضعفًا ، لينًا وصلابة ، وإنصافًا للحق وعنادًا وصدودًا عنه ، فما يجدى من الأدلة وطرق الاستدلال بها مع طائفة قد لا يؤثر على طائفة أخرى .*

وفيما يلي بيان ذلك :

أنكر إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام على أبيه آزر أن يتخذ أصنامًا آلهة ، ولم يقرن ذلك فيما ذكر الله عنه في سورة " الأنعام " بما يخفف من وطأة الإنكار على نحو ما ذكر الله سبحانه عنه في سورة " مريم " ، حيث مهد فيها قبل الإنكار بندائه بقلب الأبوة ، ولما أشرك قومه مع أبيه في الحكم كان أشد لهجة وإنكارًا ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ [ الأنعام : ٧٤ ] ، فحكم عليهم بالجهل المبين ، وعمى البصائر ، ذلك ليثير عواطفهم ويدفع بهم إلى التفكير ، فيمن يستحق أن يعبدوه مخلصين له الدين ولا يشركوا به شيئًا ، أهو من بيده كل شيء وهو ولي نعمتهم ، أم الهياكل الأرضية والسماوية وهي لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا ، ولا تغني عنهم من الله شيئًا ، ثم عسى أن تجد هذه الإثارة من أبيه وقومه قلوبًا واعية تحفظ عنه ما يقول ، وعقولاً رشيدة تفقه ما سمعت من البلاغ وإحساسًا مرهفًا ، فتتأثر بذلك وتستجيب إلى دعوة الحق : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [ ق : ٣٧ ] .

بصر الله ، عز وجل ، خليله إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، بالدلائل الكونية الدالة على وحدانيته سبحانه في ربوبيته وألوهيته ، فأراه آياته في ملكوت السماوات والأرض ، ليعلم حقيقة التوحيد ، أو ليزداد علمًا به ويقينًا إلى يقينه ، وأرشده إلى وجه الاستدلال بها ، وكيف يسلك طريقها في البلاغ أو البيان ومناظرة الخصوم ، ليفصل بذلك بين الحق والباطل ويلزمهم الحجة والبرهان ، قال الله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ۞ فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين ۞ فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۞ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ۞ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ﴾ [ الأنعام : ٧٥-٧٩ ] .

كان قوم إبراهيم الخليل صابئة يعبدون الكواكب السيارة ، يقيمون لها الهاكيل في الأرض من الأحجار ونحوها ، وكانوا يعظمونها ويتقربون إليها بالذبائح وغيرها ، وكانوا يستغيثون بها ويضرعون إليها ، فناظرهم ، عليه السلام ، في ذلك ، ولم يشأ أن يسلك في هذه المناظرة طريق الاستدلال الإيجابي المباشرة على أن الله لا رب غيره ، ولا إله سواه ، بل جعل دعوى قومه وعقيدتهم الشركية موضوع بحثه ونقاشه معهم ، وفرضها فرض المستدل لا لما يعتقده ، ثم يكر عليه بالنقض

فضيلة الشيخ
عبد الرزاق عفيفي
( رحمه الله )

## الحلقة الثانية

والإبطال ، ويكشف عن وجه الحق .

فحينما أظلم الليل ورأى إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، النجم قال : هذا ربي ، فرضًا وتقديرًا ، أو أهذا ربي ؟ فلما غاب عن أعين الناس تبين أنه مسخر ليس أمره إليه ، بل إلى مدبر حكيم يصرّفه كيف يشاء ، أما الرب فأمره إلى نفسه ، بل أمر غيره إليه ، وهو دائم لا يحول ولا يزول ، بيده مقاليد الأمور ، وهو على كل شيء قدير .

ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب آخر ، هو في نظرهم ضوء ، وفي مرآى أعينهم أكبر حجمًا ، وهو القمر ، فلما رآه طالعًا ، قال : هذا ربي ، فرضًا منه لذلك وتقديرًا ، أو أهذا ربي ؟ فلما ذهب عن أعين الناظرين تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تأله القلوب ويضرع إليه العباد في السراء والضراء ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويستهدونه فيديهم إلى سواء السبيل ، ولذا قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين .

ثم انتقل بهم إلى معبود آخر لهم أكبر جرمًا من النجم ومن القمر ، وأعظم ضياءً منهما وهو الشمس ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي ، فلما أفلت قال : يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا ، وما أنا من المشركين ، فاستدل بما يعرض لها من غيرها على أنها مأمورة بأمر ربها ، وأنها مدبرة مسخرة بتسخير خالقها .

فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة أرفع من الكواكب السيارة شأنًا ، وأعلى قدرًا ، وأعم نفعًا عندهم ، وقد قضت لوازمها بانتفاء سمات الربوبية والألوهية عنها ، وأحلت أن تستوجب لنفسها حقًا ما لها في العبادة والتقرب إليها ، فما عداها من سائر الكواكب أبعد من أن يكون له حظ ما في الربوبية أو الإلهية ، وأحرى بنفي ذلك عنه ، واستحالته عليه ، ولذا أعلن إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، في ختام المناظرة براءته مما يزعمون من الشركاء ، وأسلم وجهه لله وحده الذي فطر السماوات والأرض ، وأبدع خلقهما دون شريك أو ظهير يعينه في ذلك ، وضمن إعلان النتيجة الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن ما فيه من البراءة من الشركاء نظير نفي الإلهية الحقة عن الشركاء في كلمة التوحيد ، وما فيه من إسلام وجهه لله نظير الاستثناء في كلمة التوحيد ، لدلالته على إثبات الإلهية الحقة لله ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون ۞ إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ [ الزخرف : ٢٦،٢٧ ] ، وهذا الضرب من الاستدلال قد سلك سبيله في المناظرة كثير من العلماء قديمًا وحديثًا ، وقد جاء في الكتاب والسنة كثيرًا ، لكن على منهج العرب في حديثهم ، وطريقتهم في المناظرة والحجاج ، فإن رسالة نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم، قد بدأت في العرب ، وبلغتهم نزل القرآن على طريق الصناعة المنطقية ، حيث يقولون في مثل هذا الموضع إجمالاً : لو كانت هذه الكواكب أربابًا أو آلهة ما حالت ولا زالت ، لكنها تحول وتزول ، فليست أربابًا ، فإن الله حي دائم لا يحول ولا يزول .

فللداعية إلى الإسلام أن يسلك هذه الطريقة – طريقة إبراهيم عليه السلام – حسبما تقتضيه الحال ، فيتنزل مع مناظره من دعاة الباطل ، ويفرض دعواه واقعة ، ويرتب عليها لوازمها الباطلة وآثارها الفاسدة ، ثم يكر عليها بالنقض والإبطال ، وقد توجب عليه الأحوال والظروف سلوكها والدعوة بها أحيانًا ، فإن الدعوة إلى الحق كما تكون بتزيينه وذكر محاسنه للترغيب فيه وإستمالة النفوس

إليه ، تكون بتشويه الباطل وذكر مساويه ومخازيه ، تنفيرًا منه ، ليهرب المطلوب عنه ، وتتفتح قلوبهم للحق ، فليتزموه .

هذا ، وقد ذهب جماعة من المفسرين وغيرهم إلى ما تقدم من أن حديث إبراهيم في شأن الكواكب مع قومه كان على سبيل المناظرة والحوار مع المشركين ، ليقيم عليهم الحجة لا ليكسب هدى بعد حيرة ، ولا ليستفيد علمًا بعد شك ، واختار ذلك ابن كثير في " تفسيره " ، قال : والحق أن إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل ، وهي الكواكب السبعة المتحيزة .. ثم قال : وكيف يكون إبراهيم ناظرًا في هذا المقام ، وهو الذي قال الله في حقه : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ۞ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ [ الأنبياء : ٥١،٥٢ ] .

وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين ۞ شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ۞ وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ۞ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [ النحل : ١٢٠-١٢٣ ] ، وقال : ﴿ إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [ الأنعام : ١٦١ ] .

ثم استدل بنصوص خلق الناس على الفطرة السليمة : كقوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [ الروم : ٣٠ ] ، وحديث : " كل مولود يُولد على الفطرة " .. والحديث القدسي : " إني خلقت عبادي حنفاء " ، ثم قال : فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله الله أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين - ناظرًا في هذا المقام ، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلا شك ولا ريب ، ومما يؤكد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرًا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ﴾ [ الأنعام : ٨٠ ] .

ويؤيده أيضًا ما ذكره في مطلع هذه الآيات من دعوة إبراهيم لأبيه وقومه إلى التوحيد ، وإنكاره ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام التي جعلت تماثيل وهياكل رمزية للكواكب ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ [ الأنعام : ٧٤ ] ، فبدأ الآيات بالتوحيد والبراءة من الشرك ، وختمها بذلك ، فدل على أنه كان مؤمنًا بذلك ، موقنًا به أولاً وآخرًا على السواء ، ويؤيده أيضًا قوله تعالى في ختام المحاجة : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ [ الأنعام : ٨٣ ] .

وروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أن مقام إبراهيم في هذه الآيات مقام نظر لا مقام مناظرة ، واختاره واستدل عليه بقوله : ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ [ الأنعام : ٧٧ ] ، وذكر محمد بن إسحاق ما يفيد أن ذلك حين خرج إبراهيم من السرب الذي ولدته فيه أمه لما خافت عليه من " نمرود بن كنعان " . اهـ باختصار .

وبيان ذلك أن إبراهيم كان قبل الرسالة في حيرة في تعيين من يعبده ، وإن كان يعتقد بفطرته السليمة أن للعباد ربًا له قدره وعظمته وجلاله وحكمته في تدبيره وتصريفه لشئون خلقه ، فنظر في السنن الكونية نظرة اعتبار واستدلال لنفسه ، نظر في النجم ثم الشمس ، ليخرج نفسه من القلق والحيرة إلى العلم والهدى والرشاد ، فلم يجد فيها سمات الربوبية ، ولا الصفات التي تستحق بها أن تؤله وتعبد ، وانتهى به نظره واستدلاله لنفسه إلى ما أعلنه أخيرًا من البراءة من الشرك والشركاء ، والتوجه لله رب العالمين وحده ، ثم كان مقام دعوته لأبيه وقومه إلى التوحيد ومناظرته لهم فيما كانوا عليه من الشرك بعد الرسالة .

وعلى هذا يستطيع الداعية إلى الإسلام أن يجد لنفسه أيضًا قدوة حسنة وأسوة رشيدة في سيرة إبراهيم ، عليه

السلام ، وفي خبر اللّه عن منهجه في هذه الآيات ، فيبدأ بالنظر في الآيات الكونية والدلائل الشرعية ، ليعلم الحق في نفسه أولاً ، ثم يتبع ذلك الدعوة إليه ، ليكون في دعوته على بينة وبصيرة ، فعلى كلا المعنيين لهذه الآيات يجد الداعية إلى الحق في خليل الرحمن مثالاً حسنًا يحتذيه ، وميزانًا عادلاً يزن به عقيدته وعمله ودعوته ويقتفي أثره فيه .

إن دعوة إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، أباه وقومه إلى التوحيد مع سلامتها وقوة استدلاله عليها ، وحسن سياسته وحكمته واستقامة منهجه فيها لم تجد لديهم قبولاً ، لأن قلوبهم في غلاف من العناد والصدود واللجاج ، فلم تتفتح لدعوة الحق ، ولم تشأ أن تتقبلها ، ولأن عواطفهم متبلدة بل ممسوخة ، قد انحرف بها الهوى وتقليد الآباء وتحكم العادات السيئة عن الجادة وحدة الاعتدال ، فلم تتأثر بالحق ، ولم تجد لنفسها فيه لذة ولا راحة ، بل ذهبوا يجادلونه في الحق بعد ما تبين ، ويهددونه ويخوفنه أن تصيبه آلهتهم بسوء فلا يحمد العاقبة ، فما كان من إبراهيم ، عليه السلام ، إلا أن ثبت على الحق واطمأنت به نفسه وازداد إيمانًا به ، فأنكر عليهم جدالهم إياه بالباطل ، وتخويفه من خطر آلهتهم ، مع أنها لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا ، ولا تدفع عنها بأسًا ، وهو يركن إلى الركن الركين ، ويتوكل على رب العالمين ، قد أخلص له قلبه وأسلم له وجهه ، وقام بما أمره به من الدعوة للّه الحنيفية السمحة ، فهو أحق بالأمن والسلام ممن هددوه وخوفوه ، لكن على تقدير أن يصيبه مكروه فهو من اللّه سبحانه ، ابتلاءً وامتحانًا اقتضته حكمته وعدله ، قال اللّه تعالى : ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوني في اللّه وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئًا وسع ربي كل شيء علمًا أفلا تتذكرون ۞ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم باللّه ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ۞ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [ الأنعام : ٨٠ - ٨٢ ] .

فعليكم معشر الدعاة أن تثبتوا على الحق في ميدان الدعوة ، وأن تصبروا على الأذى ، وألا تتخلع قلوبكم لكيد الكائدين ، وتهديد المعتدين ، وتوكلوا على اللّه أسوة بخليل الرحمن إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، فاللّه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين .

لما فات إبراهيم ، عليه السلام ، أن يؤمن به قومه فتستقر حياته بين أظهرهم ويشتد عضده بهم ، وتولوه بالأذى وبلغ بهم الكيد له أن ألقوه في النار ، ففر إلى ربه وهاجر طالبًا لدعوته قومًا آخرين ، لما أصيب بذلك لم يكله اللّه إلى نفسه ، ولم يحرمه جزاء عمله ، فوهب له من تقر بهم عينه ، وهب له إسحاق ويعقوب ، وجعلهما من أنبيائه وهداهما إلى الصراط المستقيم ، وتتابعت النبوة والرسالة من بعده في ذريته إلى أن ختمت بنبوة الرسول الكريم محمد صلى اللّه عليه وسلم .

فيامعشر الدعاة إلى الحق : كونوا واثقين باللّه ، مطمئنين إلى صادق وعده ، مؤملين النصر والخير وحسن العواقب ولكن لا بدّ لكم من الابتلاء بالسراء والضراء ، فاشكروا ربكم على ما أولاكم من الخير ، واصبروا على الشدة واللأواء ، وليكن لكم في خليل الرحمن وإخوانه الأنبياء خير أسوة ، فقد ابتلوا فصبروا وشكروا ، فجزاهم اللّه خير الجزاء ، قال اللّه تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [ البقرة : ١٢٤ ] ، وقال : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اللّه وما ضعفوا وما استكانوا واللّه يحب الصابرين ۞ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۞ فآتاهم اللّه ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة واللّه يحب المحسنين ﴾ [ آل عمران : ١٤٦-١٤٨ ] ، واللّه الموفق ، وصلى اللّه على نبينا محمد ، وآله وأصحابه وسلم .

# الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله

*لم يرسل الله تعالى رسولاً إلا أمره بالتوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [ النحل : ٣٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [ الأنبياء : ٢٥ ] .*

وقد عنى الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك ، فبدءوا البلاغ بدعوة أممهم إلى أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا ، وقطعوا فيه شوطًا بعيدًا ، حتى شغلوا به الكثير من أوقات البلاغ ، ولا عجب في ذلك ، فإن التوحيد أصل الدين وذروة سنامه ، وملاك الإسلام ودعامته الأولى ، لا تصح من إنسان قربة ، ولا يتقبل الله منه عبادة إلا إذا كانت مقرونة بالتوحيد وإخلاص القلب لله وحده ، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين ۞ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفارٌ ﴾ [ الزمر : ٢،٣ ] ، وقال : ﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [ البينة : ٥ ] .

وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأسهلها وأقربها إلى معرفة الحق وأعدلها ، وهو الاستدلال بآيات الله وسننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يُعبد وحده لا شريك له ، فذلك أهدى سبيلا وأقوم دليلا ، وأقوى في إقناع الخصم وإلزامه الحجة ، فإنه مقتضى العقل الصريح وموجب الفطرة السليمة ، قال الله تعالى : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ۞ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ [ البقرة : ٢١،٢٢ ] ، فرتب سبحانه نهيه إياهم عن اتخاذهم شركاء له في العبادة على علمهم وإقرارهم بأنه تعالى وحده هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم ، وهو الذي جعل الأرض قرارا ، وذللها لهم ليمشوا في

بقلم فضيلة الشيخ
عبد الرزاق عفيفي ( رحمه الله )

الحلقة الأخيرة

جوانبها ، وليبتغوا من فضله ، ورفع السماء بلا عمد ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم . لينعموا بما آتاهم من النعم ، وليتمتعوا بما أفاض عليهم من الخيرات لعلهم يتقون ربهم ووليّ نعمتهم . فيعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدين . شكرا له على ما أسبغ عليهم من نعمه وأفاض عليهم من بركاته ، وفي القرآن كثير من النظائر لهاتين الآيتين في بيان أسلوب الدعوة ورسم الطريق الناجحة في إقامة الحجة وإلزام الخصم ، لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوتهم أممهم إلى الهدى ودين الحق ، اهتداء بهدى الله ، واسترشادا بإرشاده ، وهو العليم الحكيم ، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل ، ومنهم إبراهيم الخليل ، عليهم الصلاة والسلام .

أرسل الله ، جل شأنه ، خليله إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل ، فأنكر عليهم عكوفهم لها وتقربهم إليها ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشده من قبل وكنّا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ [ الأنبياء : ٥١،٥٢ ] ، ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل وعبادتهم إياها ، فألغوا عقولهم وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة : ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ [ الأنبياء : ٥٣ ] ، فسفه إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، أحلامهم وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة والضلال المبين : ﴿ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ [ الأنبياء : ٥٤ ] ، وبين لهم أن التماثيل لا تسمع النداء ، ولا تستجيب الدعاء ، ولا تملك نفعا ، ولا توقع ضرّا ، فلا يليق بعاقل أن يتخذها آلهة مع من فطر السماوات والأرض وإليه مقاليد الأمور ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، قال : ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرُّون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ [ الشعراء : ٧٢-٧٤ ] .

فلما ركبوا رءوسهم ، وأبوا إلا اللجاج والعناد والعصبية المقوتة في تقليد الآباء والأجداد ، أعلن براءته منهم وشدة عداوته لهم ولما يعبدون من دون الله : ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم

تعبدون ۞ أنتم وآباؤكم الأقدمون ۞ فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين ۞ الذي خلقني فهو يهدين ۞ والذي هو يطعمني ويسقين ۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يُميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [ الشعراء : ٧٥-٨٢ ] .

وَجَد إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، أنه لا بد له من سلوك طريق آخر عملي في إقامة الحجة ؛ ليكون أقوى في الإبانة عن الحق ، وأملك في إلزام الخصم ، يضطرهم به إلى الاعتراف بما هم فيه من ضلال وظلم وانحراف ، فأقسم باللّه أن يكيد لأصنامهم وهم عنها غائبون ، وانتهز فرصة خروجهم من البلد لبعض شأنهم ، وذهب إلى آلهتهم خفية لئلا يراه أحد فيصده عن تنفيذ ما أراد ، فجعلهم قطعا صغارا إلا كبيرا لهم تركه سالما ، ليكون له ولهم معه شأن عند التحقيق فيما جرى على أصنامهم ، فلما عادوا إلى منازلهم وشاهدوا ما أصيبت به آلهتهم : ﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ۞ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم ۞ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ﴾ [ الأنبياء : ٥٩-٦١ ] ، فلما حضر مجلسهم أخذوا يقررونه بما صنع بآلهتهم ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ فأجابهم بنسبة ما حدث إلى من لا يتأتى منه ، نسبه إلى كبير التماثيل - وهو كما يعلم ويعلمون جماد لا حراك به - ذلك ليرشدهم إلى مكان الخطأ في عكوفهم على التماثيل ، عبادة لها وتقربًا إليها ، ويصرفهم عنها إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له ، ويوحي إليهم بأنه هو الذي كاد لأصنامهم وأنزل بهم ما يكرهون ، وقد أكد ذلك بأمره إياهم أن يسألوا التماثيل عمن أصابهم

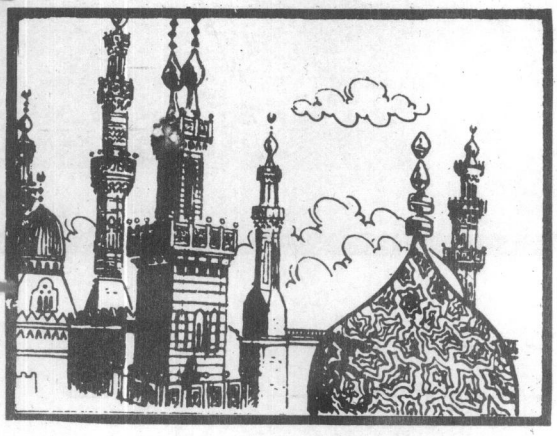

بالتكسير والتحطيم إن كانوا يملكون جوابًا : ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴾ [ الأنبياء : ٦٣ ] ، وقد نجحت هذه الطريقة إلى حد ما ، وأوجدت فيهم وعيًا ، فثابوا إلى رشدهم وما كان في أصل فطرهم ، واعترفوا بأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم تماثيل لا تملك لنفسها نفعًا ولا تدفع عنها بأسًا ، وظلموا إبراهيم ، عليه السلام ، بصدهم عن دعوته ، وإعراضهم عما جاءهم به من الآيات البينات على التوحيد ، وإخلاص العبادة للّه رب العالمين ، لكنهم لم يلبثوا أن ركبوا رءوسهم ونكصوا على أعقابهم ، وارتكسوا في حمأة الضلال والحيرة عصبية لما ورثوه عن آبائهم من الشرك والبهتان المبين ، قال تعالى : ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ۞ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ [ الأنبياء : ٦٤،٦٥ ] ، لقد ازداد طريق الحق وضوحًا وبيانًا ، واستحكمت حلقات الحجة لإبراهيم على أبيه وقومه ، وحق له أن يضيق ذرعًا من صدودهم ، وأن يتأفف ضجرًا من طغيانهم وشركهم ، وأن ينكر عليهم ذلك إنكارًا صارخًا ، ويرميهم بالخبال وإلغاء العقول : ﴿ قال أفتعبدون من دون اللّه ما لا

ينفعكم شيئا ولا يضركم ۞ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [ الأنبياء : ٦٦،٦٧ ] .

لقد أخذت الحمية الجاهلية للباطل من نفوس قوم إبراهيم ، عليه السلام ، مأخذها ، وتمكنت منهم العصبية لطاغوت التقليد للآباء والأجداد فيما أصيبوا به من الشرك والانحراف عن الحق حتى ملكت مشاعرهم ، ووجهت عقولهم وأفكارهم إلى شر وجهة ، وصرفتهم عن الحق المبين والصراط المستقيم ، وزينت لهم أن يتخلصوا من إبراهيم ، عليه السلام ، وينزلوا به أشد العقاب انتصارا لآلهتهم الباطلة ، وانتقاما منه جزاء له عما صنع لها من تحطيم وتكسير . ويعلم الله أنه ما أراد بذلك إلا الخير لهم ، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد : ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ [ الأنبياء : ٦٨ ] ، لكن يأبى الله إلا أن ينصر رسوله خليله إبراهيم ، عليه السلام ، وأن يخذل أعداءه وأعداء دينه ، ويبطل ما كادوا به لأوليائه فيبوءوا بالخسران المبين ، إمضاء لسنته العادلة الحكيمة في أوليائه وأعدائه ، قال تعالى: ﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ۞ وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ۞ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ۞ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ۞ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ [ الأنبياء : ٦٩-٧٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ۞ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [ غافر : ٥١،٥٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [ الفتح : ٢٣ ] .

## إنا لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية ، عند الله تعالى ، عالما فاضلا من قدامى علمائها ومن أوائل من أعلوا دعوتها ، ذلك هو فضيلة الشيخ عبد الحميد عُرْنسَة ، والذي توفي يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٤١٧ هـ الموافق ١٥ مارس ١٩٩٧ م عن ٩٧ عاما ، حيث إنه من مواليد سنة ١٩٠٠ م بمدينة دمياط ، وقد حفظ القرآن الكريم ، وقد حصل على العالمية ، ثم لقي بعدها فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي ، رحمه الله ، وذلك بناء على نصيحة أستاذه الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي .

وقد أمضى الشيخ عرنسه قرابة السبعين عاما في الدعوة إلى الله ، كان يتمتع فيها بمحبة أعدائه وإخوانه على السواء . وكان الجميع يجلونه كثيرا .

وكان رحمه الله يمتاز بالعلم الغزير والجهاد الطيب في نشر دعوة التوحيد في دمياط وغيرها من البلدان المجاورة ، كما كان الشيخ يمتاز بحافظة طيبة حتى أواخر أيامه .

عوضنا الله خيرا في زملائه وتلاميذه بفرع دمياط وألحقه بإخوانه من الرعيل الأول للجماعة .

وأجزل الثواب لأسرته . إنه سميع مجيب .

وكتبه فتحي أمين عثمان

# من فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله

● سُئل الشيخ : بعض الناس ينكرون على من قال : ( جل من لا يسهو ) ، فهل هذه العبارة خطأ ؟

⊙ **والجواب** : لا ، بل هي عبارة صحيحة ، فيها إثبات السهو لغير اللّه ، وتنزيه اللّه تعالى عن السهو ، وفيها إشارة إلى أن الإنسان معذور في سهوه ، سواء كان نبيًّا ، أو وليًّا ، أو صالحًا من الصالحين .

● سُئل الشيخ : عن وجه الجمع بين الأحاديث التي فيها تسمية يد اللّه تعالى الأخرى شمالاً ، وحديث : (( كلتا يدي ربي يمين مباركة )) ؟

⊙ **والجواب** : حديث : (( كلتا يدي ربي يمين )) من باب التغليب لنفي الضعف عن يده - تعالى - الأخرى ؛ لأن عادة بني آدم أن تكون يده اليمنى أقوى من يده الشمال ، واللّه تعالى منزه عن ذلك ، وفي مثل هذه الأحاديث التي تحتاج إلى الجمع ، خاصة في العقائد ، يرجع إلى كتاب (( تأويل مختلف الحديث )) للإمام ابن قتيبة ، وكذلك من الكتب القيّمة في هذا الموضوع كتاب (( مشكلات الحديث )) لعبد اللّه القصيمي ، وكان تأليفه لهذا الكتاب قبل مروقه وتلاعبه بالدين .

● سُئل الشيخ : عن الفرق بين إرادة اللّه تعالى وأمره ؟

⊙ **والجواب** : إرادة اللّه تعالى قد تكون على عكس أمره ، فهو سبحانه أمر أبا جهل بالإيمان ، مع عدم إرادته كونًا أن يؤمن .

فيفرق بين أمره تعالى الشرعي وبين إرادته الكونية بالمحبة ، فإنه سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما يحب ، وقد يريد كونًا خلافه .

● سُئل الشيخ : عن بعض عبارات الإمام ابن قدامة في (( لمعة الاعتقاد )) ، التي يفهم منها التفويض ؟

⊙ **والجواب** : مذهب السلف هو التفويض في كيفية الصفات لا في المعنى ، وقد غلط ابن قدامة في (( لمعة الاعتقاد )) ، وقال بالتفويض ، ولكن الحنابلة يتعصبون للحنابلة ، ولذلك يتعصب بعض المشايخ في الدفاع عن ابن قدامة ، ولكن الصحيح أن ابن قدامة مفوض .

● سُئل الشيخ : عن معنى (( حجابه النور )) ؟

⊙ **والجواب** : بصر الإنسان لا يقوى على رؤية نور الحجاب الذي يحجب ذات اللّه تعالى عن الرؤية ، فنور الحجاب لا تدرك كيفيته إلا عند رؤيته تعالى في الآخرة .

● سُئل الشيخ : عن قَدم اللّه تعالى ورَجله ، هل هما صفتان أو صفة واحدة ؟

⊙ **والجواب** : قَدم اللّه تعالى هي رجله ، صفة واحدة ، وهما روايتان في الحديث .

ومن قال : كيف تحيط النار برجله أو قدمه تعالى ؟ فنقول : هذا بحث في الكيفية ، ومذهب السلف تفويض الكيفية ، وعندما يضع الجبار قدمه ينزوي بعض النار عن بعض ، فإذا تضامت ملأها ما قد ألقى فيها .

● سئل الشيخ : عن المشيئة ، هل هي كونية فقط ، أو هي كونية وشرعية كالإرادة ؟

⊙ والجواب : الإرادة بمعنى المحبة شرعية ، وبمعنى المشيئة كونية ، فالمشيئة هي الإرادة الكونية لا غير ، فالإرادة أعم من المشيئة .

● سئل الشيخ : عن صفة المكر والمخادعة والاستهزاء ونحوها ؟

⊙ والجواب : قوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [ الأنفال : ٣٠ ] ، وقوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [ البقرة : ١٥ ] ، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [ التوبة : ٧٩ ] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [ النساء : ١٤٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ [ الأنفال : ٤٤ ] ، وبالفعل أقدم هؤلاء وهؤلاء ، ثم بعد ذلك صار المسلمون يرون أنهم ضعف الكفار ، كما في « آل عمران » : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ [ آل عمران : ١٣ ] ، هذا تفسير للمكر والمخادعة ، وتفسير آخر هو انطفاء نورهم على الصراط في سورة « الحديد » : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [ التوبة : ٦٧ ] ؛ أي تركهم وخذلهم ، لا بمعنى ذهاب الشيء من الذاكرة ، حاشا لله .

الصفات السابقة يسميها العلماء صفات خبرية يصح أن نستعمل تركيبها مشابهًا لتركيب القرآن ؛ أي مصاحبًا للمكر من المخلوق .

فنقول : الله ماكر بالماكرين ، ومستهزئ بالمستهزئين ، ومخادع من يخادعه ، ولا يصح أن نقول : يا ماكر - حاشا لله - والصفات السابقة نوع من الصفات الفعلية ، إلا أنها لا بد من اقترانها بالسياق الوارد .

والمكر نوعان : حسن ، وسيئ ، والمنسوب لله هو المكر الحسن .

● سئل الشيخ : عن صفات الذات وصفات الفعل ؟

⊙ والجواب : صفات المعاني داخلة في صفات الذات سلط كلمة مشيئة ( إذا شاء قدر ) لا يصح ، فهي صفة ذات ( إذا شاء خلق ) يصح ، فهي صفة فعل تقول : شاء أن يحيي فلانًا أو ينجيه أو يميته ، لكن لا يصح : شاء الله أن يكون عالمًا أو قادرًا .

● وسئل الشيخ : هل الكفار يرون الله في المحشر ؟

⊙ والجواب : نعم ، الناس كلهم في الموقف يرون الله تعالى ، لكن الكفار لا يتنعمون بالرؤية ، حتى أطيب عباد الله يكونون في بلاء .

أما الرؤية التي فيها نعمة فهي في الجنة .

والرؤية في المحشر ليست خاصة بالمنافقين ، بل تعم أنواع الكفار .

● سئل الشيخ : هل اللقاء بمعنى الرؤية ؟

⊙ والجواب : اللقاء ليس بمعنى الرؤية ، واستدلال من استدل بقوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [ الأحزاب : ٤٤ ] على الرؤية لا يصح ؛ لأنه استدلال بما لا دليل فيه .

* * *

# من فتاوى
# الشيخ عبد الرزاق عفيفي
# (رحمه الله)

● *سُئل الشيخ : عن البيع في المسجد ؟*

⊙ الجواب : لا يصح مجرد عرض سلعة أو تعاقد على بيع أو إجارة في المسجد ، حتى لو كان البيع يتم خارجه .

● *سُئل الشيخ : عن البيع والشراء في المقابر ؟*

⊙ الجواب : مباح .

● سُئل الشيخ : ما حكم مبادلة ذهب عيار ١٨ بذهب عيار ٢١ أو ٢٤ ، علمًا بأنه قد يخلط الذهب بنحاس أو فضة بنسب متفاوتة في هذه العيارات ؟

⊙ الجواب : ما دام يبادل ذهبًا بذهب فلا بد من تساوي الوزن ، فمثلاً عشرة جرامات من عيار ١٨ بمثلها عشرة جرامات من عيار ٢١ ولو تفاوتت نسبة ما خلط به .

● *سُئل الشيخ : بائع الجملة هل يجوز أن يبيع لبعض الناس بسعر ولبعضهم بسعر آخر ؟*

⊙ الجواب : نعم يجوز .

● *سُئل الشيخ : بعض البنوك يظن عن نفسه أنه بنك إسلامي ولا يتعامل بالربا ، فهل يكفي هذا للإيداع فيه ، أم لا بد من البحث والتأكد من صحة ذلك ؟*

⊙ الجواب : لا بد من التأكد والبحث عن كون البنك لا يتعامل بالربا .

● *سُئل الشيخ : هل يجوز ترك المال في بنك ربوي كوديعة بدون فوائد ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز وضع المال في بنك يتعامل بالربا ، لا وديعة ولا غيرها .

● *سُئل الشيخ : هل يجوز بيع حق استعمال الهاتف ، والذي حصل عليه من الحكومة ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز ولو بما كلفه من مال ؛ لأن هذا الحق ملك الدولة .

● *سُئل الشيخ : عن حكم بيع عقود العمل ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز ، ولا يشترى عقد عمل ، ولو كان محتاجًا ، ومن تركه لله عوضه الله .

● *سُئل الشيخ : عن حكم التورق ( وهو شراء سلعة بالتقسيط وبيعها نقدًا بأقل لغير من اشتراها منه ) ؟*

⊙ الجواب : التورق جائز .

● *سُئل الشيخ : عن حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟*

⊙ الجواب : إذا تعين هو لتعليم القرآن كان واجبًا عليه ، ولم يجز له أخذ الأجرة على واجب . أما إذا لم يجب عليه بعينه تعليم القرآن يجوز أن يأخذ أجرة في حدود ما يكفيه من النفقات ، أما إذا لم يكن محتاجًا فلا يجوز أخذ الأجرة .

● *سُئل الشيخ : بعض الناس يتورع عن تجارة الذهب لكثرة المخالفات فيها ؟*

⊙ الجواب : هذا غلط ، بل يتاجر بالوجه الشرعي من غير ربا .

● *سُئل الشيخ : عن حكم أخذ الذهب بدون دفع قيمته ؟*

⊙ الجواب : إذا كان قيمته نقودًا لا يجوز . أما إذا أخذ ذهبًا مقابل بُرٍّ أو قماش فيجوز الأجل .

● *سُئل الشيخ : ما حكم البيع والشراء من الكفار ؟*

⊙ الجواب : كان النبي ﷺ يسوى بينهم ، وبين المسلمين في البيع والشراء ، وكان يشتري من اليهود مثل ما يشتري من المسلمين .

● *سُئل الشيخ : عن عورة المرأة المسلمة على المسلمة ؟*

⊙ الجواب : عورة المرأة المسلمة ما بين السرة والركبة ، مع العلم أن في المسألة أقوال أخرى ، ويصح للمسلمة أن تُرضع أمام المسلمة الأخرى .

● *سُئل الشيخ : عن عورة الأمة ؟*

⊙ الجواب : عورة الأمة من السرة إلى الركبة ، سواء كانت للخدمة أم ربة سرير للتسري ، وهذا ظاهر الآية في سورة (( الأحزاب )) ، وهو مذهب المالكية .

● *سُئل الشيخ : هل يصح أن تتزين المرأة بكامل زينتها وهي مغطاة بجلباب سابغ ، وتحته كحل وخضاب وحلي ، وكله مستور ؟*

⊙ الجواب : لا حرج في ذلك ، بل هي متزينة لزوجها وللنساء ، وليست متزينة للرجال الأجانب ، ما دام لا يبدو منها شيء فلا حرج . أما إذا كان الجلباب زينة في نفسه لكونه لامعًا ولافتًا للنظر ، فهذا يحرم .

● *سُئل الشيخ : ما تكشفه المرأة لمحارمها ؟*

⊙ الجواب : يجوز للمرأة أن تكشف لمحارمها ما يبدو عند الخدمة ؛ كالرأس ، والعنق ، واليدين ، والقدمين .

● *سُئل الشيخ : عن صفة العمامة النبوية ؟*

⊙ الجواب : صفة العمامة النبوية لفافة تلف حول الرأس ( أو الغترة أو الشماغ ) هو الخمار ، وكانت تلبسه النساء ، وليست واردة في السنة ، بل هي من باب العادات ، أما العمامة فهي الواردة في السنة .

● *سُئل الشيخ : عن لبس المرأة البنطلون ؟*

⊙ الجواب : إذا لبست المرأة البنطلون وفوقه ملابس سابغة فلا تشبه فيه بالرجال ، ما دامت تلبسه أسفل ، ولكن التشبه إذا لم تلبس فوقه شيئًا فيمنع .

● *سُئل الشيخ : هل يصح إهداء الحرير إلى قريب كافر ؟*

⊙ الجواب : يصح ، فقد فعله عمر رضي الله عنه ، واحتفاظ الإنسان بملابس خاصة للجمعة والمناسبات طيب ، وهو من فعل الرسول ﷺ .

● *سُئل الشيخ : عن ملابس الأطفال المرسوم عليها صور ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز بيعها ولا شراؤها ، أما إلباس الأب طفله ثوبًا فيه صورة فلا بأس به ؛ لأنها ممتهنة ؛ لأنه يبول فيها .

● *سُئل الشيخ : عن شراء سجاد به صور ؟*

⊙ الجواب : السجاد لا يقصد شراء ما فيه صورة ، لكن إذا حدث وكانت في بيته وكذلك لعب الأطفال على شكل صورة من الممتهنة .

● *سُئل الشيخ : إرضاع المرأة طفلها أمام المرأة أو أمام محرم من محارمها ؟*

⊙ الجواب : يجوز لو كانت مسلمة ، أما كتابية فالأظهر ألا تكشف أمامها ؛ لقوله تعالى : ﴿ أو نسائهن ﴾ ظهور الأطراف الرجل إلى الركبة والذراعان أمام المحارم ليس بمحرم له أن يرى ، ما عدا ما بين السرة والركبة .

● *سُئل الشيخ : عن لباس الشهرة ؟*

⊙ الجواب : لباس الشهرة هو اللباس الذي يجعلهم يضحكون عليك ويستهزئون بك ولو لبست كما يلبسون فلا حرج .

● *سُئل الشيخ : هل لبس البنطلون أو لبس الساعة في اليسار يعتبر من التشبه بالكفار ؟*

⊙ الجواب : اللباس الذي يعتبر تشبهًا بالكفار هو الذي من خصائصهم ، بحيث لو رآك أحد به حسبك كافرًا ، أما ما عدا ذلك فيجوز .

# رواية الحديث بالمعنى

لفضيلة الشيخ :
عبد الرزاق عفيفي(*)
( رحمه الله )

اتفق العلماء على أنه يحرم رواية الحديث بالمعنى على من لا يعرف دلالة الألفاظ وما يحمل معانيها أو لا يقدر على التعبير عما فهمه منها بعبارة تطابق الأصل في المعنى من غير زيادة ولا نقصان .

واختلفوا في الرواية بالمعنى لمن علم مدلول الكلام وقوي على أدائه بعبارة دقيقة تطابق الأصل في المعنى ، فذهب الجمهور على جوازها ، وإن كان الأولى له أن يروي الحديث بنصه إن كان حافظًا له ، ومنع منه جماعة منهم ابن سيرين ، وفصل آخرون فأجازوا روايته بالمرادف دون غيره .

واستدل من أجاز ذلك بأدلة ؛ منها أن النبي ﷺ بعث رسله إلى من لا يعرف العربية وأقرهم على إبلاغهم أوامره ونواهيه بلغة من بعثوا إليهم وقامت بذلك الحجة عليهم ، ولو لم تكن الرواية بالمعنى جائزة لما أقرهم على ذلك ولا قامت به الحجة .

ومنها إجماع الأمة على جواز شرح الشرع للأعاجم بلغتهم والاكتفاء بذلك في القيام بواجب البلاغ ، وإذا جاز شرحه لهم ونقله إليهم بلغتهم فبالعربية أولى .

ومنها أن اللفظ ليس مقصودًا لذاته ، إنما قصد لأداء المعنى ، فإذا أمكن أداؤه بأي عبارة جاز ، إذ لا أثر لاختلاف اللفظ إلا فيما قصد التعبد به كالأدعية والأذكار والتشهد والأذان .

واستدل المانعون بأدلة ؛ منها قوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها » . قالوا : ومن يروي الحديث بالمعنى لم يؤده كما سمعه ، وأجيب بأن من نقل الحديث بالمعنى دون تحريف أداه كما سمعه ، ونظيره أن من ترجم مقالة من لغة إلى أخرى دون تحريف يقال : إنه أداها كما سمعها ، على أن هذا الحديث حجة عليهم فإنهم احتجوا به مع أنه روي بالمعنى إذ رواياته تعددت وعباراته اختلفت .

ومنها : أن الحديث قد يحتمل معنيين فأكثر ، ويفهم كل راوٍ منه خلاف ما فهمه الآخر ، وربما كان ما فهمه ونقله إلينا بعباراته خلاف ما أراده ﷺ بحديثه ، وأجيب بأن الكلام مفروض في نقل المعنى بعد فهمه من غير زيادة ولا نقصان مع الدقة في التعبير عنه .

ومنها : قياس الحديث على القرآن وعلى صيغ

(*) سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، أحد مؤسسي جماعة أنصار السنة المحمدية ، وعلم من أعلامها ، وله في الدعوة الإسلامية جهود موفورة مشكورة ، وصاحب مدرسة لها تلامذتها في مصر والسعودية والعالم العربي ، وكلامه حول الحديث قيم قاطع للنزاع بين المتنازعين من المنتسبين للسنة ، فتأمل وتدبر بالقراءة والفهم الجيد .

الأذان والتشهد والأدعية والأذكار ، فكما لا يجوز نقلها بالمعنى لا يجوز نقل ما سواها من الأحاديث بالمعنى ، فإن القصد بالجميع التعبد ، وأجيب بالفرق ، وذلك أن القصد بالقرآن الإعجاز والتحدي والتعبد بتلاوته وأحكامه ، والقصد من الأذان والتشهد والأدعية والأذكار التعبد بألفاظها وأحكامها فالتزم فيها نقل الألفاظ نفسها بخلاف ما سواها من الأحاديث فإنها قصد منها التعبد بأحكامها دون ألفاظها ، فإذا أمكن تبليغ الأحكام للأمة بأي عبارة كفى ذلك في تحقيق المقصود .

**الاحتجاج بالأحاديث وآثار الصحابة ونحوهم من العرب الخلص في اللغة :** اتفق العلماء على أنه ﷺ أفصح العرب لسانًا وأقواهم بيانًا وأعلاهم أسلوبًا ، وأنه أوتي جوامع الكلم وعلى أن ما يروى عنه من أقواله وعن أصحابه في بيان أفعاله ووصف أخلاقه أقوى إسنادًا وأصح نقلاً مما روي عن العرب الخلص من الخطب والأشعار والوصايا والحكم والأمثال ونحو ذلك ، وعلى أن ما روي من ذلك لو ثبت أنه نص رسول الله ﷺ أو تعبير أصحابه من العرب لكان أولى بالاحتجاج به في اللغة ، ولكن الرواية عنهم طرأ عليها ما ذهب بالثقة عند بعض العلماء من أن ما روي عنهم نفس عبارتهم ، فمن أجل ذلك اختلفوا في الاستشهاد بالأحاديث وآثار الصحابة في اللغة ، فذهب جماعة إلى منع الاحتجاج بها في إثبات الألفاظ اللغوية والرجوع إليها في تقرير القواعد النحوية ، وانتصر لهذا الرأي أبو حيان محمد بن يوسف النحوي وأبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي المعروف بابن الضائع ، وادعى أبو حيان في شرح كتاب التسهيل أن الواضعين لقواعد النحو من أئمة البصريين كأبي عمرو والخليل وسيبويه وأئمة الكوفيين كالكسائي والفراء لم يحتجوا بالأحاديث ولم يستشهدوا بها في تقرير قواعد النحو ، وتبعهم في ذلك المتأخرون .

واستدلوا لذلك بأنه لا يوثق بأن ما روي من ذلك لفظ لرسول الله ﷺ أو لفظ أصحابه ونحوهم من العرب لأمرين :

**الأول :** أن علماء الحديث جوزوا الرواية بالمعنى ، فتراهم ينقلون الحديث الواحد بألفاظ ؛ كحديث تزويج النبي ﷺ من وهبت نفسها له ، لبعض أصحابه ، فإنه روي بعبارات مختلفة ، ففي رواية : « زوجتكها بما معك من القرآن » . وفي رواية : « ملكتكها بما معك من القرآن » . وفي رواية : « أمكناكها بما معك من القرآن » . فذلك يدل على أنهم قد عبر كل منهم بعبارة من عند نفسه عن مراده ﷺ ، وقد لا يكون من بين هذه العبارات نص الحديث الذي تكلم به ﷺ .

**الثاني :** أن كثيرًا من الرواة لم يكونوا عربًا بالسليقة ، وإنما تعلموا العربية عن طريق القواعد ، فلا يبعد أن يقع منهم تحريف في التركيب أو خطأ في ضبط اللفظ ، كما في حديث : « كل أمتي معافًى إلا المجاهرون » . وحديث : « يتعاقبون فيكم ملائكة ... » إلخ .

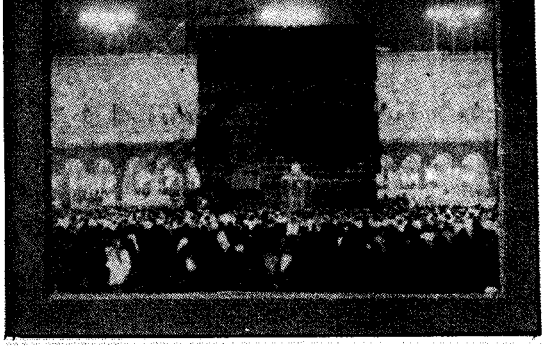

وذهب آخرون إلى

جواز الاستشهاد بالأحاديث في اللغة إثباتًا لألفاظها وتقريرًا لقواعدها ، وانتصر لهذا الرأي البدر الدماميني في شرحه لكفاية المتحفظ ، وعد ممن أيده الجوهري وابن سيده وابن فارس وجماعة . وقال : لا نعلم أحدًا من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه أبو حيان في شرح التسهيل وأبو الحسن علي الإشبيلي في شرح الجمل وتبعهما السيوطي .

**واستدلوا للجواز :**

أولاً : بأن الأصل عدم التبديل والتصرف في العبارات ويؤيد هذا الأصل قوة أن الرواة كانوا يشددون في ضبط الألفاظ ويتحرون نقل ما سمعوا بنصه ، حتى إن الراوي إذا تردد بين كلمتين في الحديث أو الأثر أيتهما سمع نقلهما جميعًا مع الترديد بينهما بأو ونحوها ، حرصًا على النص ، واحتياطًا في التعبير منهم ، وهذا الصنيع من الرواة إن لم يصل بنا إلى درجة القطع بأن ما نقلوه هو نفس ما سمعوه فلا أقل من أن يفيد غلبة الظن وهي كافية في الاحتجاج بالأحاديث في إثبات الألفاظ والأحكام اللغوية والشرعية .

ومجرد احتمال التبديل في العبارة أو التحريف فيها لا يضر لأنه على خلاف الظاهر .

واسندلوا ثانيًا بأن من أجاز الرواية بالمعنى اشترط معرفة اللغة وأساليبها والدقة في فهم المعاني والتعبير عنها ، ومع ذلك قال الرواية باللفظ فيما لم يدون من السنة أولى ، ومنع الرواية بالمعنى فيما دون من السنة ، وقد ثبت أن كتابة الحديث بدأت في حياة النبي ﷺ ، لكن بِقِلّة ، وثبت أن كثيرًا ممن كان عربيًا بفطرته وسليقته ولم تشب لسانه شائبة عجمة وعاش في بيئة عربية خالصة جمع كثيرًا من الأحاديث والآثار ودونها كمالك والزهري وعبد الملك بن جريج والشافعي وأمثالهم ممن ثبت عن الأئمة الثقات كأحمد أنهم ممن يحتج بكلامهم ، فعلى تقدير أن هؤلاء وأمثالهم نقلوا الحديث بالمعنى فعبارتهم عنه عربية يحتج بها . وبذلك تقوى غلبة الظن بأن ما روي من الأحاديث والآثار روي بلفظ أو بعبارة من يحتج بكلامهم وما ذكروه من أن أئمة النحو من البصريين والكوفيين لم يحتجوا بالأحاديث في اللغة معارض بمثله ، فقد ثبت عن كثير منهم الاحتجاج بها في اللغة ، وما ذكروه من وقوع اللحن والتحريف في بعض الأحاديث قد ثبت بالبحث أن له وجهًا في العربية ومحملاً صحيحًا يخرج عليه فلا ينهض طعنًا في الاستشهاد بالأحاديث ونحوها في اللغة .

على أن الشعر والنثر غير الحديث قد وقع فيهما الغلط والتصحيف والزيادة والنقص واختلاف العبارات باختلاف الروايات ، كما وقع في بعض الأحاديث ، وألف العلماء في بيان ذلك في توجيهه كما ألفوا فيما وقع منه في الأحاديث وبينوا وجهه في العربية ، ولم يمنع ذلك من الاستشهاد بالشعر ونحوه من كلام العرب ، كذا يجب أن لا يمنع من الاحتجاج بالسنة في اللغة سواء بسواء ؛ إذ الفرق بينهما تحكم ؛ بذلك يتبين وجه الرد على ما استند إليه المانعون ورجحان رأي من قال بجواز الاستشهاد في اللغة بالأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة ونحوهم ممن خلص لسانه من العجمة لكون عربيته سليقة ولم يعش في بيئة تفسد عليه لسانه ولغته .

والله من وراء القصد .

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق عفيفي، رحمه الله،
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة سابقًا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

الإسلام عقيدة وقول وعمل، فالعقيدة إيمان راسخ بأن الله رب كل شيء ومليكه خلقًا وتقديرًا وملكًا وتدبيرًا، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.

ترى جماعة أنصار السنة المحمدية أنها تُمَرَّ هذه النصوص كما جاءت اقتداءً منهم فيها بسلف هذه الأمة وخير قرونها فيفسرونها بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي بها نزل القرآن وكانت لسان النبي عليه الصلاة والسلام مع تفويض العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ولا يلزم من ذلك تشبيه الله بعباده كما لم يلزم من الإيمان بذات الله تعالى على الحقيقة، مع الكف عن الخوض في كنهها.

وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه وأرحم بهم منهم بأنفسهم وكلامه أبلغ كلام وأبينه، وله سبحانه الحكمة البالغة فيستحيل أن تتوارد النصوص وتتابع الآيات والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة؛ والمراد غير ما دلت عليه حقيقة ويقصد الله منها أو يقصد رسوله عليه الصلاة والسلام إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلاً على ما أراد من المعاني المجازية اعتمادًا على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر، فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى وسعة رحمته وفصاحة كلامه وقوة بيانه وبالغ حكمته، ولأن يتركهم الله دون أن يعرفهم بنفسه ويعرفهم به رسوله عليه الصلاة والسلام بوحيه، خير لهم وأيسر سبيلاً، لعدم وجود المعارض للشبه الباطلة التي زعموها أدلة وبراهين وما هي إلا الخيالات ووساوس الشياطين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فمن جحد شيئًا من هذه النصوص أو تأولها على معان مجازية من غير دليل يرشد إلى ما تأولها عليه فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته وحق عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد زادت السنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء والصفات توكيدًا وبيانًا فقضت على قول كل متأول يحرف كلام الله عن مواضعه، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها وتلاعبها بشريعة نبيها.

العقيدة الصحيحة أيضًا إخلاص العبادة لله وإفراده تعالى بجميع أنواعها ما ظهر منها كالصلاة والزكاة والحج وما بطن منها كالتوكل على الله والإنابة إليه والرجاء لرحمته والخوف من عقابه ونقمته والاستغاثة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأقوال والأعمال والأخلاق التي تدخل في مسمى الإسلام، كما تدخل العقيدة وإن تفاوتت منازلها في الدين وكان لكل منها درجة تخصها حسبما يتوقف عليها من العبادة وما يتبعها من الآثار.

إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك وألوان البدع والخرافات لتبعث من دان لله بها إلى العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب السامية وتجعل منه رجلاً مثاليًا في الحياة إن حكم عدل وإن قال فقوله سديد وإن عمل كان على جادة الكتاب والسنة وإن عاشر الناس وجدوا منه خير سيرة فمظهره، يشرح للناس الإسلام ويفسره تفسيرًا عمليًا بقوله وعمله وخلقه، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة فقد شابها كثير من البدع والخرافات أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه وإن خالف وحي السماء أو طغت عليه الشبه واستولت عليه الشكوك والأوهام ضرب في كل واد وأخذ في بنيات الطريق وضل عن سواء السبيل.

من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السنة المحمدية يكثرون من الكلام في التوحيد في دروسهم وخطبهم وكتابتهم ولهم في ذلك خير أسوة، أسوتهم في ذلك أئمة الهدى وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصر أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله وتهتدي بهدي رسوله ﷺ وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة وقولاً وعملاً لا تؤثر على ذلك شيئًا ولا ترضى به بديلاً من آراء الرجال الضالة، وأهوائهم الزائفة، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وما في معناه من الآيات والأحاديث، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وأرجو الله أن يهيء لنا جميعًا من أمرنا رشدًا، وأن يلهمنا الرشد، والصواب في القول والعمل، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فكم أرسل الله في بني إسرائيل من رسل، وكم آتاهم من آيات بينات تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم؛ لكن القوم كلما جاءتهم آية زادتهم كفرًا وعنادًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم، كلما جاءتهم آية زادتهم كفرًا، وهكذا وصفهم رب العزة والجلال ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «البقرة: ٢١١».

لقد بدلوا نعم الله عليهم كفرًا بها فتوعدهم الله القوي بالعذاب الشديد، ألم يرسل ربنا عز وجل موسى لهم بتسع آيات بينات؟ ألم ينشق البحر أمامهم في لحظة وصار كل فرق كالطود العظيم؟ وينجيهم ربهم عز وجل من فرعون، ويغرقه وقومه أمام أعينهم في اليم الذي نجاهم منه فكان الماء نجاة لهم وإغراقًا لعدوهم أمام نظرهم؟ ثم هم بعد ذلك يقولون لموسى: اجعل لنا إلهًا نراه ونسمعه ونلمسه كما لعبَّاد الأوثان آلهة، نعم قالوا ذلك، ولم يكتفوا بالقول، بل صنعوا من الذهب عجلاً وعبدوه من دون الله، بينما كان موسى عند ربه يتلقى التوراة، وقد اشترط خيارهم على موسى ألا يؤمنوا حتى يروا ربهم جهارًا فما بالك بسفهائهم، كم أنزل الله عليهم من نعم ورفع عنهم من نقم أجرى لهم عيون الماء في الصحراء وأظلهم بالغمام وأنزل عليهم المنّ والسلوى؛ كم أمات منهم من أحياء وكم أحيا من أموات، وبعد ذلك كله قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة ازدادت طباعُهم غلظة وأخلاقهم سوءًا وفطرهم فسادًا.

والخلاصة أنهم بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم وأقوامًا غيرهم دار البوار؛ جهنم يصلونها وبئس القرار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فالله - سبحانه - عندما يقص علينا من أخبارهم إنما يريد منا أن نحذر الوقوع فيما وقعوا فيه وأن نحذر سبل الضلالة التي يدعون إليها فهم أئمة الدعاة على أبواب جهنم.

وموعدنا اليوم مع إحدى قصصهم، قصة الفارين من الموت والتي ذكرها ربنا تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ «البقرة: ٢٤٣».

وحديثنا عن هذه القصة سيكون بعون الله على محورين: الأول عن المعاني، والثاني: عن الفوائد.

أولاً: «ألم تر» أي: سنقصُّ عليك من خبر القوم من اليقين والحق كأنك تراه الآن.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أهل قرية من بني إسرائيل كان موطنها بالشام. نقله ابن كثير - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن السدي وأبي صالح وعلي بن عاصم، رحمهم الله.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ اختلف أهل التفسير في تحديد العدد من أربعة إلى أربعين ألفًا، ونحن لا يعنينا تحديد العدد بالتمام والكمال، المهم أنهم ألوف، ومن أهل العلم من يرى كلمة «ألوف» من الألفة والائتلاف كما نقله صاحبُ زاد المسير.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ خشية الموت، والمقصود بالموت هنا «الطاعون» كما قال بذلك الحسن والسُّدِّي أو (فرارًا من القتال)، وقد أُمروا به. قاله عكرمة والضَّحاك- رحم الله الجميع- والمعنيان محتملان والله أعلم، لكن يرجِّح المعنى الثاني أمر الله للذين آمنوا بالقتال في الآية التالية مباشرة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «البقرة: ٢٤٤». فكأنَّ القصة جاءت توطئة لهذا الأمر وعبرة للمؤمنين، فإن الموت والحياة بأمر الله.

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا جميعًا كنفس واحدة، ماتت تلك الألوف موتة واحدة بالأمر الكوني (كونوا أمواتًا)، فماتوا ولم يغن عنهم حذرهم شيئًا أمام أمر الله لما جاءهم، ولم ينفعهم علمهم بالأسباب ولا هربهم من القتال، فإن الله سبحانه لا يفوته هارب ولا يعجزه طالب.

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ «ثُمَّ» تفيد التراخي أي أن الله أحياهم بعد مدة من الزمن، كم هي ؟ الله أعلم، وقيل أحياهم بسبب دعوة نبي الله حزقيال الذي كان زمنه قبل داود (عليه السلام)، وقال بعض المفسرين: إن الله أحياهم ليجعل من ذلك عبرة لهم ولمن بعدهم، وهذا الذي يدل عليه ظاهر اللفظ والأول لا دليل عليه يمكن الركون إليه باطمئنان فجلها نقول عن أهل الكتاب.

ونحن لا نبغي إلا العبرة والله المستعان، ولعلنا بهذا أخي الكريم وصلنا بك ومعك إلى ما نريد إلى الفوائد والعبر ونجملها فيما يلي:

ثانيا: الفوائد والعبر:

١- قال صاحب نظم الدرر محاولاً ربط هذه القصة بالسياق القرآني سابقًا ولاحقًا: «ولما كان الجهاد حظيرة الدين والذي فيه بذل الأنفس وإنفاق الأموال كثرت فيه مواعظ القرآن وترددت، ومن هذا القبيل عرض هذا القصص من الأمم السابقة وخصوصًا أهل الكتابين».

٢- وقال أيضًا عند قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾، قال رحمه الله: «في ذلك تعريض باليهود الذين لم يشكروا نعمة الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ وبدلوا نعمة الله كفرًا». اهـ مع تصرف يسير.

٣- نقل صاحب زاد المسير عن الأنباري قوله: «وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي ﷺ بأمر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحته». اهـ. ونقول: ولم يشاهده النبي ﷺ لكن أنباه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي ذلك دليل على صدق النبي ﷺ فيما يخبر عن ربه وأنه لا ينطق عن الهوى.

٤- وقال أيضًا: «وفيها احتجاج على منكري البعث فدلهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا». اهـ.

نعم، وقد كان كثيرًا في اليهود لأنهم أكثر الناس إنكارًا للبعث بعد الموت.

٥- ومن الفوائد: أنه لا فرار من قدر الله إلا إلى قدره (سبحانه)، ويترتب على ذلك حكم شرعي وهو: إذا كان القوم قد فروا من الطاعون والحكم هو ما وضحه النبي ﷺ فيما صحَّ عنه (إن سمعتم به (أي بالطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه). البخاري برقم ٤٣٧٣، ومسلم (٢٢١٨).

ومن فوائد الحديث تأسيس قاعدة الحجر الصحي قبل أن تعرفها الحضارة الحديثة، وكذلك الوقاية خير من العلاج.

وقد طبق هذا الحديث الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم إلى الشام إبان الفتح وكان بها الطاعون ولم يدخلها، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله ؟ فقال رضي الله عنه وأرضاه: نفر من قدر الله إلى قدر الله، ولم يكن ساعتها يعلم بالحديث المتقدم، لكن الله قد جعل الحق على لسان عمر وإن رغمت أنوف شانئيه ومبغضيه فسيكون بغضهم إياه عليهم حسرة وندامة.

٦- ومن الفوائد ما ذكره الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - حيث قال: «كلام الله سبحانه وتعالى بحروف مرتبة؛ لقوله تعالى: «موتوا»، فيكون فيه رد على من قال: إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، فالله سبحانه يتكلم بما أراد، لا أن يقول: «كُن» فقط، بل يتكلم بما أراد كن كذا، كن كذا، لأن الكلام بكلمة (كن) مجمل، كما قال الله للقلم: «اكتب، قال: رب ماذا أكتب» فيصير معنى «كن» أي الأمر المستفاد من هذه الصيغة، فلو أراد الله سبحانه إنزال المطر لا يقول: «كن» فحسب، بل بالصيغة التي أراد الله سبحانه.

٧- ومن وجوه البلاغة في القصة القرآنية حذف ما كان معلومًا في قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾؛ والتقدير «فماتوا ثم أحياهم»، وهذا كثير في القصص القرآني، وفي القرآن عمومًا وفي لغة العرب، وهو ما يسمى عند البلاغيين إيجاز الحذف، ولا ريب إن في كلام العرب لبلاغة والقرآن الكريم في القمة من ذلك.

وفي هذا القدر ما يكفي، نفعني الله وإياكم بالوحيين الكتاب والسنة وبهدي أصحاب النبي ﷺ، رضي الله عنهم أجمعين، وبخاصة الخلفاء الراشدون الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.